قَبُّوط



قبوط

كَانَ فِي قَدِيمِ ٱلزَّمَانِ طِفْلٌ ٱبْنُ يَوْمٍ يُدْعَى «قُبُوط». فَكَانَ يَقُولُ: «مَا أَكْرَهَ سَرِيرِي هٰذَا! أُرِيدُ أَنْ أَطِيرَ إِلَى ٱلْبُسْتَانِ».







وَلِعِلْمِهِ بِأَنَّ لَهُ أَجْنِحَةً، وَضَعَ رِجْلَهُ عَلَى حَافَّةِ ٱلنَّافِذَةِ... وَهَبَّ طَائِرًا بِرَشَاقَةٍ وَغَابَ فِي ٱلأَثِيرِ.

أَخِيرًا وَصَلَ إِلَى ٱلْبُسْتَانِ ٱلْكَبِيرِ ٱلَّذِي
كَانَ يَرَاهُ مِنْ سَرِيرِهِ وَحَطَّ فِي وَسَطِ
ٱلْبُحَيْرَةِ ، فَإِذَا هُوَ فِي وَحْدَةٍ تَامَّةٍ.

وَبَعْدَ قَلِيلٍ رَأَى هُنَاكَ أَطْفَالًا ظَلُّوا
يَلْعَبُونَ حَتَّى ٱلْمَسَاءِ. حَتَّى إِذَا ذَهَبُوا
وَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ، قَامَ مِنْ مَكَانِهِ مَبْلُولًا.



ثُمَّ فَكَّرَ أَنْ يَصْعَدَ إِلَى شَجَرَةٍ وَيَنَامَ بَيْنَ أَغْصَانِهَا. لَكِنْ مَا كَانَ أَبْرَدَ مَرْقَدَهُ لَا رِيشَ فِيهِ وَلَا غِطَاءَ.



وَقَبْلَ ٱلْفَجْرِ ٱسْتَيْقَظَ «قَبُّوط» فَرَأَى مِنْ خِلَالِ ٱلنُّورِ ٱلشَّاحِبِ جِنِّيَّاتِ ٱللَّيْلِ يَسْرَحْنَ فِي ٱلْمَمَاشِي.

ثُمَّ يَرْجِعْنَ بِخِفَّةٍ بَيْنَمَا ٱلْبَعْضُ
مِنْهُنَّ يَجْتَهِدْنَ فِي عَمَلِهِنَّ
قَبْلَ أَنْ يَطْلُعَ ٱلنَّهَارُ .



وَأَصَابَ «قَبُّوط» بَرْدٌ قَارِسٌ
فَعَطَسَ عَطْسَةً قَوِيَّةً خَافَتِ
ٱلْجِنِّيَّاتُ مِنْهَا فَهَرَبْنَ مُسْرِعَاتٍ.





وَرَأَى يَوْماً طَيَّارَةً تَطِيرُ فِي ٱلسَّمَاءِ
كَأَنَّهَا سَحَابَةٌ يُحَلِّقُ بِهَا سِرْبٌ
مِنَ ٱلطُّيُورِ فِي أَعَالِي ٱلْجَوِّ.



فَتَعَلَّقَ «قُبُّوط» بِذَنَبِهَا وَكَانَ يَظُنُّهُ
مَتِيناً. لَكِنَّهُ كَانَ مِنْ وَرَقٍ
فَٱنْقَطَعَ وَسَقَطَ «قُبُّوط» فِي ٱلْبُحَيْرَةِ.

وَٱشْتَاقَ «قَبُّوطٌ» يَوْمًا إِلَى أُمِّهِ، فَقَالَ لِلْغُرَابِ ، «ٱذْهَبْ إِلَى أُمِّي وَقُلْ لَهَا إِنِّي قَدْ نَدِمْتُ وَأُحِبُّ ٱلْعَوْدَةَ إِلَيْهَا».





وَلَمَّا عَادَ ٱلْغُرَابُ سَأَلَهُ «قَبُّوطٌ»، «أَلنَّافِذَةُ ! هَلْ رَأَيْتَهَا مَفْتُوحَةً أَوْ مُشَبَّكَةً بِحَدِيدٍ ؟»
— إِنَّهَا وَاأَسَفَاهُ ! مُغْلَقَةٌ وَلَنْ تَنْفَتِحَ أَبَدًا .

فَحَزِنَ «قَبُّوط» حُزْنًا شَدِيدًا وَطَارَ إِلَى ٱلْمُرُوجِ ٱلْخُضْرِ حَيْثُ تَجْتَمِعُ ٱلْعَصَافِيرُ.



وَرَأَى هُنَاكَ ٱلْغُرَابَ سُلَيْمَانَ فَقَالَ لَهُ ٱلْغُرَابُ: «إِذَا بَقِيتَ فِي هٰذِهِ ٱلْبُحَيْرَةِ تَعَلَّمْتَ أُمُورًا كَثِيرَةً».

وَلِفَرْطِ ذَكَائِهِ ، تَعَلَّمَ «قُبُوط»
كُلَّ شَيْءٍ فِي لَحْظَةٍ وَبَدَأَ يَنْفُخُ
فِي ٱلْقَصَبِ وَيُخْرِجُ مِنْهُ أَلْحَانًا .





ثُمَّ بَنَى «قُبُوط» عُشًّا جَمِيلًا جَعَلَ
مِنْهُ زَوْرَقًا وَنَصَبَ عَلَى قَضِيبٍ
فِيهِ قَمِيصَهُ لِيَكُونَ شِرَاعًا .

وَرَاحَ يَطُوفُ فِي ٱلرَّوْضِ حَزِينًا
وَحِيدًا وَيُسِيلُ مِنَ ٱلْقَصَبِ أَلْحَانًا
عَذْبَةً كَئِيبَةً مِثْلَ أَلْحَانِ ٱلْبُلْبُلِ.





فَسَمِعَتْهُ جِنِّيَّاتُ ٱللَّيْلِ فَٱجْتَمَعْنَ
حَوْلَهُ وَدَعَوْنَهُ إِلَى حَفْلَتِهِنَّ
ٱلرَّاقِصَةِ فِي مَطْلَعِ ٱلرَّبِيعِ.

وَعَادَ مِنَ ٱلْحَفْلَةِ لٰكِنَّهُ ظَلَّ حَزِينًا. وَبَيْنَمَا هُوَ فِي طَرِيقِهِ رَأَى طِفْلَةً سَائِرَةً كَئِيبَةً.



فَقَالَ لَهَا: «مِنْ أَيْنَ جِئْتِ يَا صَغِيرَةُ؟ أَنَا فَقَدْتُ أُمِّي وَقَدْ حَبَسُونِي مُنْذُ ٱللَّيْلَةِ ٱلْبَارِحَةِ فِي هٰذَا ٱلْبُسْتَانِ وَأَقْفَلُوا عَلَيَّ.



«أَلَا تَبْقَيْنَ مَعِي فِي ٱلْبُسْتَانِ فَنَذْهَبَ إِلَى ٱلْبُحَيْرَةِ وَأُرِيكِ عُشِّي ٱلَّذِي جَعَلْتُهُ زَوْرَقًا صَغِيرًا».

فَقَالَتِ ٱلطِّفْلَةُ «نَدَى»، «أَنَا رَاغِبَةٌ فِي مُرَافَقَتِكَ لَكِنَّنِي إِذَا بَقِيتُ فِي ٱلْبُسْتَانِ أَخْسَرُ أَبِي وَأُمِّي وَإِخْوَتِي».



فَأَجَابَ «قَبُّوط»، «هَلْ تَظُنِّينَ أَنَّكِ تَجِدِينَ ٱلْبَابَ مَفْتُوحًا؟». قَالَتْ، «إِذَا طَرَقْتُهُ ٱنْفَتَحَ وَأَسْرَعْتُ إِلَيَّ أُمِّي».



قَالَ، «وَإِذَا لَمْ يُفْتَحِ ٱلْبَابُ عُودِي إِلَيَّ، فَأَنَا أَنْتَظِرُكِ هُنَا» فَصَرَخَتْ فَرِحَةً، «هُوَذَا ٱلْبَابُ يَنْفَتِحُ» وَمَضَتْ

وَهِيَ تُرَدِّدُ: «ٱلْوَدَاعَ يَا «قَبُّوط».
فَأَجَابَ: «ٱلْوَدَاعَ». وَٱخْتَفَتْ. وَظَلَّ
يَنْتَظِرُ عَبَثًا عَوْدَتَهَا أَيَّامًا وَلَيَالِيَ.



وَكَانَ «قَبُّوط» يَعْزِفُ عَلَى ٱلْقَصَبِ
لَحْنًا عَذْبًا يُشْبِهُ أَغَارِيدَ ٱلْبُلْبُلِ،
يُرْسِلُهُ عَلَى أَجْنِحَةِ ٱلنَّسِيمِ إِلَى ندَى...



قوس الغمام

٦

منشورات المكتبة البولسية
شارع لبنان - بيروت - ص.ب: ٤٤٥٩ - ١١ لبنان
هاتف: ٤٤٤٩٧٣ - ٤٤٨٨٠٦ - ٤٤٩٨٠١
شارع القديس بولس - جونيه - ص.ب: ١٢٥ لبنان
هاتف: ٩١١٥٦١ - ٩٣٣٠٥٢